مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية
Laboratoire des Études sur les Ressources, Mobilité et Attractivité - LERMA

MARRAKECH
جامعة القاضي عياض
كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

التاريخ والديناميات الاجتماعية

متنوعات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علوي

تنسيق :
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

الجزء الأول

2024

التاريخ والديناميات الاجتماعية
متنوعات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علوي
تنسيق :
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع
الجزء الأول
2024

مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية
Laboratoire des Études sur les Ressources, Mobilité et Attractivité - LERMA

MARRAKECH
كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

Histoire et dynamiques sociales

Mélanges en l'honneur du professeur Hassan HAFIDI ALAOUI

Coordination :
Mohamed RABITATEDDINE et Mohamed ELAKLAA

Tome 1

2024

مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية
Laboratoire des Etudes sur les Ressources,
Mobilité et Attractivité - **LERMA**

MARRAKECH
جامعة القاضي عياض
UNIVERSITÉ CADI AYYAD
كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵜ ⵏ ⵜⵓⵔⵣⵉ ⴷ ⵜⵙⴰⵡⴰⵍⵉⵏ ⵜⵉⵏⵙⵓⵖⵉⵏ - ⵎⵕⵕⴰⴽⵛ
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

التاريخ والديناميات الاجتماعية

متنوعات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علوي

تنسيق :
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

الجزء الأول

2024

محفوظة جميع الحقوق
©Copyright

الـتـاريـخ والـديناميات الاجتماعيـة

متنوعـات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علـوي

تنسيـــــــــق :محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

مـنـشـــــورات : مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية (LERMA)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة القاضي عياض، مراكش.

الإيداع القانوني : 2024MO0741

ردمـــــــــــك : 978-9920-8894-0-7

الطبـعـة الأولى : 2024

الطباعة والإخراج الفني : دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط

دار أبي رقراق للطباعة والنشر
10 شارع العلويين رقم *3*، حسان – الرباط
الهاتف : *83 75 20 37 05* - الفاكس : *89 75 20 37 05*
E-mail : editionsbouregreg2015@gmail.com

ولـد حـسـن حـافـظي علـوي بزاوية أوفوس بإقليم الرشيدية في 24 رجب 1381 هـ/01 يناير 1962م، وتابع دراسته الثانوية بثانوية غريس بگلميمة، ثم التحق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس حيث ناقش دبلوم الدراسات العليا سنة 1989. وفي سنة 2005 حصل على دكتوراه الدولة من جامعة محمد الخامس بالرباط. وتتمحور أبحاثه حول التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بالعالم الإسلامي في « العصر الوسيط »، وتاريخ الأفكار والتقنيات وتاريخ المؤسسات السياسية والاجتماعية.

الفهـــــرس

كلمة السيد عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية 9

كلمة السيد رئيس مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية (LERMA)..... 11

تقديم عام..... 13
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

التعريف بالأستاذ حسن حافظي علوي: مسار باحث حصيف..... 23
البيضاوية بلكامل

الفاعل المسؤول: قراءة في بعض أعمال مجموعة البحث في تاريخ المجال والإنسان بتانسيفت..... 33
محمد الأكلع

المحور الأول: إسهام الأستاذ حسن حافظي علوي في الدراسات الصحراوية

المقاربة المصدرية عند الأستاذ حسن حافظي علوي تجليات الامتداد ومسارات الإمداد... 51
محمد البركة

إعمال التعريفات لتجلية الفروق بين الصحراء والواحات: إسهام في دراسة حيوية المجال المعاشي بالمغرب الوسيط 83
سعيد بنحمادة

فقه البادية والتاريخ في مؤلفات الأستاذ حسن حافظي علوي..... 121
أحمد الصديقي

المحور الثاني: التاريخ والرواية

ما بين الرواية التاريخية والتاريخ من اتصال وانفصال 133
حسن أوريد

المحور الثالث: مصادر جديدة

نصوص تاريخية يمنية عن سلاطين الدولة العلوية مقتبسة من كتاب درر نحور الحور العين بسيرة المنصور علي وأعلام دولته الميامين للطف الله جحاف الصنعاني (ت 1243هـ/1827م)..... 141
عبد السلام محمد أحمد الصباري

أنظار في اختصار كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي 181
الوافي نوحي

المحور الرابع: المذاهب الإسلامية في فجر الإسلام

العبد والمولى في حركات الشيعة من الظهور إلى حركة المختار (38-67هـ/658-687م..... 195
عبد الحميد الفهري
المخاض المذهبي بالمغرب الإسلامي إبان عصري الولاة المشارقة والإمارات المحلية المستقلة..... 213
عبد الهادي البياض

المحور الخامس : نظرات في التاريخ المرابطي

أثر الحضارة الأندلسية في حضارة الغرب المسيحي زمن المرابطين 269
فائزة البوكيلي
الدولة المرابطية المشروع الوحدوي والسياسة الفكرية: مراجعات نقدية 281
أحمد الخاطب

المحور السادس: التصوف والقيم الإنسانية

التصوّف والمجتمع بإفريقيّة والمغرب بين القرنين السّادس والتّاسع للهجرة/الثّانـي عشر والخامس عشر للميلاد 331
محمد حسن
الصلات الصوفية والعلمية بين الزاويتين العياشية والقشاشية : التصوف الحاتمي والفلسفي وغريب المسائل..... 359
عبـد الله نجـمـي
في تاريخية مفهوم الكرامة..... 411
محمد موهوب

المحور السابع: التاريخ وصناعة الذاكرة

تقديس الشخص في الثقافة التركية: من جينكزخان إلى أردوغان 439
عبد الرحيم بنحادة
الثمثلات الخمسة لشخصية الأمير عبد القادر أو تاريخ جينيالوجيا البطولة والرمز 469
الجيلالي العدناني

العبد والمولى في حركات الشيعة
من الظهور إلى حركة المختار (38-67هـ/658-687م)

عبد الحميد الفهري(*)

سعيا لتقديم لمحة حول مكانة العبد والمولى في حركات الشيعة من الظهور إلى حركة المختار، يتعيّن التوقّف عند أصول هذين الصنفين لإلقاء أضواء سريعة على وضعيّتَيْهما ضمن المجتمع العربي عموما وفي مجتمع الأمصار على وجه الخصوص في فترة التوسعات المُبكرة. وقد تجلّى فعل المتشيعين لعلي في هذه الفترة في خمس حركات تَكتَّلَ خلالها الموالون لعلي بنصرة موقفه واعتبار أهل بيته أصحاب الحقّ المهدور في تولي شؤون الأمة، وظهرت تباعا حركات ذات طابع عسكري قتالي في الوقت نفسه الذي كانت تتبلور فيه التوجّهات الشيعية المذهبية البكر. وهذه الحركات عربية قبلية صميمة جندا وقيادة وأهدافا.(1) وقد استعمل العرب بقدر محدود العبيد والموالي في مسؤوليات مختلفة وفي حركات: - انتفاض أنصار علي بعد التحكيم في 38هـ/658م، - خروج حجر بن عدي الطائي على ابن زياد في 50هـ/670م، - انتفاضة الحسين في سنة 60هـ/680م، - حركة سليمان بن صرد الخزاعي في ضواحي الكوفة بالنخيْلة في 64هـ/684م، - حركة المختار الثقفي(2) في 66 -67هـ/686-687م وهي آخر الحركات وأخطرها. فكانت العراق وأساسا مِصْرَا الكوفة والبصرة مباشرة بعد «وقْعَة صفين» ولمدة ربع قرن (38-67هـ/658-687م) مسرحا لدفعين متكاملين: الحراك العسكري والتأسيس المذهبي وهو ما يجعلنا نصر على أن «صفين» لم تكن «فتنة» وإنما كانتْ مفترق الإسلام الأكبر.(3)

(*) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس، الجمهورية التونسية.

(1) كانت هذه من بين نتائج أطروحتنا: **انتماءات قيادات حركات الشيعة في العهد الأموي وانعكاساتها** تحت إشراف هشام جعيط، تونس، 1989.

(2) قاد المختار بن أبي عبيد الثقفي أكبر حركة شيعية زمن الزبيريين في الكوفة في 66هـ/686م وشكّل بالعبيد والموالي جيشا ضخما لمواجهة الأشراف لكن فشلت حركته لتكتل هؤلاء الأشراف وتفانيهم للحفاظ على مكانتهم. عبد الحميد الفهري، **الانتماءات الاجتماعية لقيادة حركة المختار الثقفي** (تونس: شهادة كفاءة في البحث، 1983).

(3) عبد الحميد الفهري، «صفين مفترق الإسلام الأكبر،» ضمن كتاب **جدل الهوية والتاريخ** (تونس: منشورات

• **مقام غير الأحرار في المجتمع العربي مع حلول الإسلام**

وجب أوّلا أن نشير إلى أنّ غير العربي في فجر الإسلام ليس بالضرورة غير حرّ، بل يتعين الانتباه إلى صنف من العرب لم يكن حرّا أصلا. وقد تنوّعت الأصول الاجتماعية لغير الأحرار وهم العبيد وكذلك الموالي مع التوسّعات العربية الأولى في العراق في مجالات العجم (غير العرب) الواقعة حينئذ تحت النفوذ الفارسي، فتضاعفت أعدادهم داخل نسيج المجتمع العربي مع ظهور الأمصار البكر، حيث ستتشكّل فضاءات جديدة ميزتها الاختلاط بين جموع من قبائل العرب المُستنفَرة للغزو، ثمّ الاستقرار في البلاد المفتوحة من جهة، ومزيج من شعوب الشرق من غير العرب المغلوبين على أراضيهم من جهة ثانية، إلى جانب المقبلين على الأمصار سواء طوعا وقد جذبهم رخاء الحياة وحراك الحضر فكانوا يدخلون تحت حماية القبائل وولائها، أو المجلوبين قهرا من سبايا وأسرى صاروا عبيدا في وضعيات مختلفة صنّفها الفقه وأضاء الأدب والتاريخ بعض جوانبها. وقد لعبت هذه الأمصار فعلا دور ميادين ممارسة الإسلام الإجرائي[1] بين أصناف وفئات لم تتعايش من قبل بمثل ذلك التقارب والتفاعل. لذلك جاء اختيار استعمال عبارتي «غير الأحرار» بهدف إبراز تراتبية طبقية لا تقوم على الوضع الاقتصادي وإنّما كان الوضع الطبقي عند العرب قبيل الإسلام وبعده مباشرة يقوم على الوضع الشخصي للأفراد والجماعات في علاقة بالحرّية قبل المال والأعمال.

وغير الأحرار يشكّلون في أغلبهم صنفا من مجتمع العرب من غير العرب، فقدوا حريتهم في ظروف فيها ما اتصل بعهود مجتمع نظام المغازي كما يسميه القادري بوتشيش، أو خلال طور التوسّعات إلى أواسط العصر العباسي. وقد كشفت المدوّنة الأدبية العربية كثيرا من أسرار تضخّم نسب فاقدي الحرية في بلاد العرب والمسلمين وساهمت مصنّفات الفرق والفقه في تدقيق عديد الجوانب الغامضة في الروايات والأخبار.

كان إذن صنف غير الأحرار حاضرا قبل الإسلام وخاصة بعده، وهو النقيض الاجتماعي لصرحاء النسب الأحرار في القبيلة العربية المتعايشين مع العبيد والموالي وهم غير الأحرار في القبيلة نفسها. فالقبيلة العربية تقوم على تراتبية داخلية تجعل أصحاب النسب العربي وحدهم أحرارا، وأمّا البقية فهم في مراتب انقسمت بين العبودية الكاملة والولاء بمعنى التبعية الخاضعة لشروط مُسبقة، وهو شكل من فقدان نسبة من الحرية يختلف مقدارها

«**سوتيميديا**،» نشر المركز العربي والأبحاث ودراسة السياسات-فرع تونس، 2018). قدمنا وجهة نطرنا حول خطإ الانسياق وراء فكرة صفين «الكارثة» و«الدراما» والتغاضي عن صفين «المفترق» الذي توجه بعده كل فصيل فكري إسلامي في نحو مختلف لتعميق رؤاه.

(1) هشام جعيط، **الكوفة: نشأة المدينة الإسلامية** (بيروت: دار الطليعة، 1989).

وفق هذه الشروط وما تنتهي إليه من اتفاق يصاحب قبول الولاء من طالبه وهو المولى الأسفل من جهة، ومانحه وهو المولى الأعلى من جهة ثانية. وقد ضبط الفقهاء حدود هذه التبعية وموجب تغييرها وشروط بلوغها، علما وأن عوامل تنامي هذه الأصناف وكسبها خصوصيات كثيرة تراكمت وتعقدت مع قيام المجتمع الإسلامي الناشئ على أساس الاختلاط بين الشعوب والأجناس لا سيما في مناطق التوسّع. فلم يكن نمط الإنتاج القائم على الرعي والزراعة الموسمية وضعف مردود الأرض هو السبب الأساس لتطور طبيعة هذه الفئة ووضعها (la nature de son statut) في جلّ مناطق شبه الجزيرة وخارجها في الأمصار والكور، فلم يكن النّمط السائد يسمح للعرب قبل الإسلام ولا بعده بسيطرة هذا الطابع العبودي ليكون طبيعة للمجتمع العربي بشكل صريح، وإنما كان نمطا مصاحبا مفكّكا يرافق التطوّر في صلب علاقات إقطاعية/ استبدادية ستتعقد مظاهرها مع وفرة التعامل المالي نظرا لضخامة موارد التوسّعات والإقبال الكبير على المعاملات التجارية ما بين القطرية والقارية.

ولمّا حلّ الإسلام، كانت في الحجاز أعداد العبيد والموالي متواضعة، فظهرت آيات قرآنية تحثّ على عتق العبيد، لكن لم تظهر آية واحدة تمنع ملكية الإنسان للإنسان وتحرّمها صراحة.

وقد ذكر القرآن مقابل ذلك آيات أخرى تعترف بحقّ التصرّف فيما «ملكت الأيمان» نساء ورجالا، وهو ما جعل الطبقات المالكة تغضّ الطرف على آيات الحثّ على تحرير العبيد وتتمسّك بالآيات التي تذكّر صراحة بحقّ الإبقاء على ما ملكت الأيمان.[1]

وفعلا مع توسّع الدولة الإسلامية في مناطق زراعية لا سيّما السقوية منها، ازدادت وضعية غير الأحرار تعقيدا[2] وازدادت أعدادهم ضخامة. فقد كان العرب القادمون من الحجاز ونَجْد وغيرهما من شبه الجزيرة، جاهلين لأساليب التعامل مع الفلاحة السقوية وتوظيف مياه الأنهار لخدمة الأرض. فعمد العرب إلى البحث عن العبيد ولطلب خبرة أهل المناطق المغلوبة. فنشطت حركة اقتناء العبيد من كلّ الأسواق وارتفعت أثمانهم. ففي عهد الرسول كانت عائشة تشتري العبد من سوق عكاظ بأربعمائة درهم[3] وفي عهد أبي بكر كان ثمن بلال

(1) القرآن الكريم: سورة المؤمنين، الآية: 5 والآية:6 وسورة النساء، الآية: 34.

(2) للمهتمين بتطوّر أوضاع (statuts) العبيد والموالي بعد انتشار الإسلام نحيل إلى: الأنصاري أبو يوسف يعقوب، **الآثار**، السرخسي شمس الدين، **المبسوط على مذهب أبي حنيفة**، ابن حزم الأندلسي، **المحلى**. وفيه شرح دقيق لوضع الموالي؛ **موسوعة كتب السنة الستة وشروحها** (إسطنبول: دار الدعوة، وتونس: دار سحنون، 1992)؛ البخاري **الصحاح**، ج. 1، 2، 3؛ مسلم، **الصحيح**، ج. 4، 5، 6، 7؛ أبو داود، **السنن**، ج. 12، 13، 14؛ النسائي، ج. 15، 16؛ الدارمي، ج. 19؛ مالك، ج. 20؛ ابن حنبل، ج. 20.

(3) عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة، **كتاب المعارف** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1331هـ)، 144.

خمس أواق من الذهب.[1] أمّا في فترة الغزوات اللّاحقة فقد انخفض ثمن هؤلاء العبيد بشكل سريع، فبعد انتصار العرب على الشعوب الضعيفة «استباح الإسلام فعلا أموال المشركين أن تغنم، وذواتهم بأن تسترقّ، وبلادهم بأن تملك.»[2]

فكانت عمليات السبي فعلا كثيرة منذ عهد الرسول ومع أبي بكر ومن جاء بعده، فيذكر الطبري أنّ خالدا بن الوليد حاصر حصنا في عين التّمر «فلال عقة من العرب والعجم اعتصموا بحصن هناك، فضرب خالد أعناق أهل الحصن أجمعين وسبى كلّ من حوى حصنهم وغنم ما فيه.»[3] وقد نقل المنتصرون المَسْبِيِّين إلى الحجاز ووزعوهم على الأسر العربية الكبيرة. وأكثر ما يهمّنا في هذه الرّواية أن هؤلاء المَسْبِيِّينَ كانوا عربا وأن فقراء الجند كانوا يبيعون نصيبهم من الأسرى. يقول الطبري: «كان صغار الجنود ينزلون عن نصيبهم من الأسرى لأنّ حاجتهم من المال التي يعتاضون به عنهم كانت أشدّ من حاجتهم إلى الأسر الذي يبدو أنّه شكّل كلاّ على أكتافهم،»[4] فكان المقاتل يبيع نصيبه من العبيد والجواري لأغنياء القوم. وسيمثل الاختلاف حول استعباد العرب المسبيين قضية فقهية ستشغل الطبري في كتابة اختلاف بين الفقهاء.[5]

وتمثل مسألة نصيب الجُند والقادة والدولة اختلافا جزئيا بين الفقهاء حسب المذاهب. وعموما فإنّ المقاتلة يحصلون على أربعة أخماس الغنائم والأسرى ولكن تُوزّع بتفاوت حسب المكانة في القيادة والاختلاف بين راكب دابة والماشي... ويتحوّل الأسير الذي يحصل عليه المقاتل إلى عبد أو (جارية) خاصّا به، له الحقّ في بيعه أو إهدائه أو عتقه.

o الأصول الاجتماعية للعبيد في المجتمع العربي ومجتمع الأمصار ودورهم في حركة الشيعة

كان عبيد الإمارة، وهُمْ نصيب الدولة في الفتوحات، غالبا ما يتولون الحراسة والأعمال العامة وخدمة القصور والبساتين عند الأمراء، وهم عموما في وضعية أفضل بكثير من عبيد الخواص في البيوت والمزارع والأسواق... غير أنّ صنف عبيد الدولة أو الإمارة كان يخضع أيضا

(1) المصدر نفسه، 176.

(2) أبو العين بدران، **العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين في الشريعة الإسلامية واليهودية والمسيحية والقانون** (بيروت: دار النهضة، ط. 1، 1980).
محمّد الطيّب النجار، الموالي في العصر الأموي (القاهرة: دار النيل للطباعة، 1949).

(3) فيصل شكري، **تاريخ المجتمعات الإسلامية** (بيروت: دار العلم للملايين، ط. 5، 1981)، 38، 83 و110.

(4) المرجع نفسه.

(5) محمّد بن جرير الطبري، **كتاب الجهاد وكتاب الجزية وأحكام المحاربين من كتاب اختلاف الفقهاء** (ليدن: عني بنشره يوسف شخت، 1933).

للبيع للخواص عند الاقتضاء، فرغم أنّ المصادر لم تصرّح بدوافع بيعهم فالأرجح أنّ كثرتهم وحصول الدولة على أعداد تفوق حاجتها منهم يكون وراء تنزيلهم إلى السوق. وقد أورد أبو يوسف رواية هامة حول بيع عبيد الإمارة جاء فيها «عن أبي حنيفة، أنّه (ابن مسعود) (ر) باع من الأشعث رقيقا من رقيق الإمارة، فقال الأشعث أخذتهم بعشرة آلاف وقال عبد الله: بعشرين ألفا، فقال عبد الله: اجعل بيني وبينك رجلا، فقال الأشعث أنت بيني وبينك: فقال عبد الله: «لأقضينّ فيها بقضاء رسول الله (ص) فقال، إذا اختلف المتبايعان فالقول قول البائع أو يترادّان البيع.»[1]

وهذه الرواية تختزل زيادة على تصنيف العبيد، طرق ووسائل التعامل معهم كبضاعة عادية في السوق حسب قانون البيع والشّراء. كما هناك حديث آخر صريح أيضا يقرن فيه الرسول مرّة أخرى المادة المعروضة في السوق للاستهلاك مع العبيد إذ يقول: «من باع نخلا مؤبّرا أو عبدا فتمر النّخل ومال العبد للبائع إلاّ أن يشترط المبتاع.»[2]

وإذا أردنا تقديم صورة سريعة عن هذا الصنف، سواء إناثا كانوا أو ذكورا، فبالإمكان القول أنّ العبيد في مجتمع الأمصار والمجتمع العربي على وجه العموم، في عصر بني أمية وبعده، يمثّلون صنفا بشريا في وضعية اجتماعية دونية تعتبر النقيض الاجتماعي للأحرار حيث يفقدون مطلقا كلّ حريتهم في التصرّف في مالهم وأبدانهم. فكلّ ما يملكونه يكون لصالح السيّد، فهو مالكهم وصاحب أمرهم والمتصرّف فيهم. وسواء كانوا عبيد السبي أو الأسر أو غيره من المصادر، فإنّ التشريع الإسلامي ضبط لهؤلاء المسحوقين اجتماعيا ما يحقّ لهم وما يتوجّب عليهم القيام به والانضباط له. ولعلّ الحنفية هي أكثر مذاهب السنّة تسامحا لفائدة العبيد، ولكن بصفة عامة فإنّ الفصول القانونية في الفقه الإسلامي تعتبر جائرة في حقّ هؤلاء المملوكين.

ولإدراك الحيف الاجتماعي الذي يعرفه المملوك، يكفي الوقوف عند الفصول التشريعية عند كلّ الفقهاء. فرغم وجود بعض الاختلاف بين المذاهب فإنّ جميع المشرّعين يتّفقون على دونية المملوك واعتباره بضاعة ومادة متاجرة لصالح الأحرار.

غير أنّ اندفاع هذا الصنف من مسلوبي الحرية لدخول الحركات السياسية والدينية لم توازه المكانة التي كانوا يأملون بلوغها، فرغم دورهم الأساس في كلّ الثورات والحركات الموالية

(1) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم **الأنصاري**، **كتاب الآثار** (حيدر أباد: نشر لجنة إحياء المعارف العثمانية، 1355هـ)، 182.

(2) محمّد بن جرير الطبري، **تاريخ الأمم والملوك** (دمشق: دار الفكر، 1979)، 182.

لأهل البيت، خلال أشدّ مراحلها، لم يحظ العبيد سوى بقيادة محدودة كانت مع الحسين بن علي في واقعة كربلاء ومع المختار الثقفي في مسؤوليات محدودة سوى قائد شرطه كيسان أبو عمرة. فعند معاينة قائمة أسماء أصحاب القيام بمهام في طور نشأة الشيعة، منذ اغتيال علي إلى قيام حركة المختار، لا يفوق عدد غير الأحرار الثمانية وذلك رغم اتفاق المصادر على موت آلاف منهم في وقائع هذه المرحلة من تاريخ الإسلام الدموي (انظر الجدول عدد1)، فقد تولّى عقبة بن سمعان قيادة متواضعة وهو المملوك الوحيد فيما كان البقية من الموالي وكان من بينهم من لم تحدد المصادر أصله ووضعه واعتبرناه من مجهولي النسب. وتقول المصادر عن العبد إنه كان عبدا صحب الحسين منذ خروجه من الحجاز ولعب دورا كبيرا في شدّ صفوف صاحبه واستطاع في نهاية المطاف الهروب إلى فارس بعد أن استشار سيّده في ذلك.[1]

ومهما كانت الحصيلة فإنّ عدد العبيد أقلّ من أن يُذكر في حركة الشيعة، فليس هناك أيّة إمكانية للمقارنة بين مساهمة القيادات من العرب وعبيدهم في القيادة.[2]

o الموالي في المجتمع العربي وفي الأمصار ودورهم في قيادة حركات الشيعة إلى حدّ المختار

لا تقف دراسة غير الأحرار في المجتمع العربي ومجتمع الأمصار على وجه الخصوص على العبيد وإنّما هناك أصناف أخرى كالهُجّن والطرداء والمولّدين ولكن أكثر طرف اجتماعي معروف بوضعيته الغامضة في سلم الرتب الاجتماعية هو صنف الموالي، فبرغم ضعف موقعه في القيادة فقد كان لهذا العنصر دور بالغ الخطورة في كثير من الحركات الشيعية إلى حدّ حركة المختار الثقفي في العراق وأساسا في الكوفة خلال سنتي 66هـ/686م و67هـ/ 687م، فقد ساهم الموالي بثقل بارز في بلورة النهج الشيعي فكريا وتنظيميا وخاصة في طور انتقال الحركة إلى العمل السرّي في خراسان في نهاية القرن الأوّل للهجرة.

وعلى غرار ما جاء ذكره مع العبيد فإنّ الموالي لم يجدوا أيضا مكانة وحظوة في قيادة الحركة بالقدر الذي يناسب الأعداد الضخمة التي قدّموها في كلّ الحركات في مهام متنوعة ومتعدّدة. فقد كان الحيف والظلم يلازمان الموالي. فعند تقسيم الجيوش كان هؤلاء دائما هم المشاة، ورجال الخشبية ومعناه العسكر الذين لا يحملون سلاحا معدنيا ولا يركبون الخيل وإنّما يكتفون بالهراوات والعصي والأسلحة الخشبية، ويذكر يوليوس فلهوزن في هذا الصّدد أنّ جيوش يزيد، أحد قادة المختار بن أبي عبيد الثقفي كانت تتألّف من قليل من الفرسان بمعنى

(1) الطبري، **تاريخ**، ج. 6، 235 والطوسي، **الرجال**، مخطوط دمشق: المكتبة الأحمدية بدمشق، ورقة 78، رقم 27.
(2) انظر التفاصيل في الجدول 2.

«أنّها كانت تتألّف من الموالي وكانوا يضربون بالعمد على الخوذ والدروع التي يحملها جنود أهل الشّام حتى كانت ترنّ رنين مياجن قمّارى وهي دار الوليد بن عقبة بن أبي معيط، كما يقول راوٍ قديم. ويضيف فلهوزن في الهامش «صمد الخشبيّة في نصيبين بزعامة ابن أبي ورقاء مدّة أطول.»[1]

ويرجع المؤرخون بداية ظهور العصبية العربية ضدّ الموالي إلى مقتل عمر بن الخطاب على أيدي أبي لؤلؤة المجوسي، وهو مولى للمغيرة بن شعبة، ولكن لا يمكن أن ننساق كثيرا وراء هذا الرأي لأن مصدر التوتّر بين العرب ومواليهم يعود إلى طبيعة العلاقة بالذات بين الصنفين الاجتماعيين المتباعدين والمتناقضين في مجال الحياة العامة رغم أنّ الموالي المسلمين - وإسلامهم شرط أساسي لدخول الأمصار- كانوا يُحرَمون من حقّ المواطنة الكاملة وكسب موقع في سلم الحقوق والواجبات لأنّهم ليسوا من العرب الصرحاء. وقد تحوّل هذا الاعتبار بالنظرة الدونية إلى الموالي إلى أشكال من العبوديّة والاضطهاد، حيث عامل كثير من الأشراف هذا الصنف معاملة المملوكين وأوكلوا إليهم الأعمال الشّاقة، وذهب هؤلاء الأشراف وعامة العرب إلى حدّ اعتبار الموالي – رغم إسلامهم - حقّا من حقوقهم التي يجب أن ينتفعوا بها بموجب الانتصار في الفتوحات. وقد عبّر عن ذلك شبث بن ربعي اليربوعي وهو الناطق الرسمي باسم الأشراف في الكوفة بقوله للمختار: «عمدت إلى موالينا وهم فيء أفاءه الله علينا وهذه البلاد جميعا فأعتقنا رقابهم نأمل الأجر في ذلك والثواب والشكر فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم شركاءنا في فيئنا.»[2] وفي هذا الخطاب لا نفرّق إطلاقا بين النظرة إلى العبيد والموالي. وهو ما يجعلنا نقف بسرعة عند تعريف هذا الصنف في المجتمع العربي خلال القرن الأول للهجرة.

للمولى لفظا ومعنى حضور بارز في الأدب والتاريخ العربيين، فمعاني لفظة مولى تختلف عند العرب حسب سياق استعمالها.[3] فقد استعملت قبل الإسلام بمدلول الطبقة لصنف اجتماعي يعيش بين عناصر القبيلة دون أن يكون بالضرورة من أصلها، كما تعني كلمة مولى أحيانا الجار وهو المعروف عند العرب بمولى الدّار كما يستعمل للدلالة على ابن العمّ وهو مولى الولادة الذي يطلب الحماية فيكون بالضرورة عربيا تخلى عن جانب من حريته مقابل ضمان إجارته. فكان المولى قبل الإسلام من طبقة الصرحاء نقيّةِ النّسب من المجتمع العربي القبلي لكن يفقد هذا المولى جزءا من حريته وفق ما يتفق عليه الطرفان عند طلب الموالاة.

---

(1) يوليوس فلهوزن، **أحزاب المعارضة السياسية والدينية في الإسلام**، ترجمة عبد الرحمان بدوى (الكويت: وكالة المطبوعات الكويت، د. ت)، 155.

(2) الطبري، **تاريخ**، ج. 7، 116.

(3) الفهري عبد الحميد، «الموالي، لا في الذات ولا مع الآخر،» **كتاب الآخر** (تونس: نشر جمعية الدراسات الفلسفية فرع صفاقس، 2002).

وقد ذكر إحسان النص في تعريف الموالي بيتا للشاعر حسين بن الحمام يجمع معنيي الحليف وابن العم في بيت واحد[1]:

موالي موالينا الولادة فيهــم ومولى اليمين حابسا متقسّمــا.

بعد ظهور الإسلام تجاوز لفظ مولى المعنى التقليدي للكلمة ليأخذ أبعادا اجتماعية وسياسية أكثر عمقا ودلالة. فقد انقسم الموالي في مرحلة الخلفاء وفي سائر العهود الأموية والعباسية إلى صنفين:

أ- موالي العتاق (أو العتق)

وهم الذين يكتسبون صفة اجتماعية ووضعية قانونية جديدة بعد تحريرهم من العبودية أو الأسر أو السبي ويصبحون في مكانة خاصة بين الحرية والاسترقاق، فَهُمْ دون العرب الصرحاء ذوي النسب القبلي المعروف مكانة وأفضل من العبيد الذين لا ينسبون مطلقا. فالمولى يحمل اسم عشيرة سيده أو اسم قبيلة بأكملها. وقد اختلفت القوانين حول هذا الصنف الاجتماعي من مذهب إلى آخر ولكن في العموم وقعت معاملة الموالي بكثير من الدونية والاحتقار: فعلى الرغم من أنّ المشرّع سمح لهم بممارسة حقوقهم في الزواج والطلاق والشؤون العامة مثل الأحرار، فإنه حدّ من حرّية المعتق في التصرّف في مصيره وفي إرادته، إذ اعتبر «المولى الأسفل» أحد الأصناف التي تتبع «المولى الأعلى» (فهو تابع) هو وأولاده وكلّ ما يملكه، فإذا لم يكن للسيد أولاد لوراثة المولى ينتقل الإرث إلى أقرب أقربائه من الذكور حسب قانون الوراثة في الإسلام. ومن واجبات المولى نصرة سيّده في الحروب والمصاعب والشدائد وإعانته في الظروف العصبية، ومن المحتمل أنّ كثيرا من موالي العتاق كانوا يعيشون داخل العشيرة مع سائر أفرادها لخدمتهم، ولعل أهم ما يميّز المولى عن العبد هو أساسا منع المشرع السيّد حق بيع مولاه.[2]

فمولى العتاق يكون إذن بعد عملية تحرير رقبة ولكن لا يصبح هذا المُعتق حرّا كاملا إنّما يصبح مولى تابعا للسيد الذي أعتقه، فانتقال العبد إلى الولاء يكون لمن يقوم بعملية العتق «فإن الولاء لمن أعتق.»[3]

---

(1) إحسان النص، **العصبية العربية وأثرها في الشعر الأموي** (بيروت: دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، 1963)، 65؛ عن المفضل الضبي، **المفضليات** (القاهرة: دار المعارف، 1965).

(2) أحمد صالح العلي، **التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأولّ هجري** (بيروت: دار الطليعة، 1969)، 79، 80 -81.

(3) أبو يوسف، **كتاب الآثار**، 141، رقم 638.

ب- موالي الإسلام

وهو أكثر النوعين انتشارا ويشتمل على الأعاجم الذين دخلوا الأمصار والبلاد العربية على وجه العموم وأسلموا معهم، واختاروا لأنفسهم وضعية جديدة تقوم على كسب الحماية من أفراد أو عشائر وقبائل عربية منتفعين من الإفادات التي يقدمها الولاء للسيّد والعشيرة مقابل حمل نسبهم. وكان لهؤلاء الأعاجم أن يتركوا ولاءهم متى شاؤوا إذ تخلت العشيرة أو السيد عن القيام بالواجب نحوهم كدفع ديتهم وحمايتهم ممن يحمل لهم العداء، وقد قبلت بقانون الولاء عدّة مجموعات مشهورة كحمراء الديلم والزطّ والسيابجة والانغدار... وهم من شعوب العراق القديم الذين كانوا يعانون من سيطرة الفرس، فلما جاء الإسلام بحثوا عن منفس للهروب من سطوة مغتصبيهم الأُوَّلِ ليتحولوا باختيارهم إلى وضع تبعية جديدة لا شكّ أنهم كانوا يعتبرونها أفضل من الأولى. وقد ازداد عدد الموالي بنسق سريع بكامل العراق وبمصر الكوفة على وجه الخصوص. فقد كان السيابجة عند حلول علي بالكوفة 4000 آلاف ناصروه وماتوا من أجل قضيته. وعندما خرج المختار عن ابن المطيع والي الكوفة كان معه من الموالي حسب الدينوري[1] ما لا يقل عن عشرين ألف مولى وعبد، أمّا في ثورة عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث فإنّ الأرقام تصل إلى حدّ المائة ألف جلّهم من الموالي.

وقد وردت إشارة في الكامل لابن المبرد تفيد بأنّ الموالي قد وصلوا فعلا إلى حدّ من الكثرة أزعج بني أمية وأقضّ مضجعهم إلى حدّ أنّ الحجاج بن يوسف الثقفي أقدم على أعمال لا يمكن إطلاقا أن نقف عند نعتها بالعنصرية فحسب، بل إن الحجاج نزل إلى مستوى التعامل مع الموالي كأقرب ما يكون التفاعل مع الحيوان، «نظر الحجاج فإذا جلّ من خرج مع عبد الرحمان بن الأشعث من الفقهاء وغيرهم من الموالي فأحب أن يزيلهم عن موضع الفصاحة والأدب ويخلطهم بأهل القرى والأنباط فقال إنّما الموالي علوج وإنّما أُتي بهم من القرى، فقراهم أولى بهم. فأمر بتسييرهم من الأمصار وإقرار العرب بها وأمر أن يُنقش على يد كلّ منهم اسم قريته، وطالت ولايته فتوالد القوم هناك، فخبثت لغات أولادهم وفسدت طبائعهم فلما قام سليمان بن عبد الملك أخرج من كان في سجن الحجاج من المظلومين، فيقال إنّه أخرج في يوم واحد ثمانين ألفا وردّ المنقوشين (الموالي) فرجعوا في صورة الأنباط.»[2]

وقد كان الموالي حقّا كُثْرا في حركة آل البيت إذ جازفوا بأنفسهم في نصرة علي منذ حلوله بالبصرة فيقول المنقري «فلما قدم علي ... حشر أهل السّواد فلمّا اجتمعوا أذن لهم فلما رأى

(1) الدينوري، **الأخبار الطوال** (بغداد: طبعة دار المسيرة (مصوّرة)، د. ت).

(2) محمد بن يزيد المبرد، **الكامل في اللغة والأدب**، ج. 3 (القاهرة: دار الفكر العربي، 1339هـ)، 81.

كثرتهم قال: «إنّي لا أطيق كلامكم ولا أفقه عنكم فأسندوا أمركم إلى إرضاءكم أنفسكم.»[1]

ويزداد مظهر احتقار الموالي في مرحلة التشيّع بالذّات، ويذكر الطبري أنّ العرب كانت تقدّم الموالي أثناء الحرب في الواجهة بل تدفع بهم إلى الموت المحقّق يجعلهم بلا سلاح وبلا دواب وفي مواقع الصدام الحرجة،» ولما كان كيسان أبو عمرة وكان مولى لعرينة على الموالي فجاء عبد الله بن وهب بن أنس الجشمي إلى ابن شميط وقد جعله على مَيْسرته، فقال له: الموالي والعبيد آل خور عند المصدقة وإنّ معهم رجالا كثيرا على الخيل، وأنت تمشي، فمرهم فلينزلوا معك - فإنّ لهم بك أسوة فإني أتخوّف إن كانت عليهم الدبرة أن يكونوا رجالا لا ينجو منهم أحد.»[2]

ويذهب بعض المؤرخين من المستشرقين وحتى من العرب وعلى رأسهم محمود إسماعيل إلى أنّ العرب قد بالغوا في تعذيب الموالي من الفرس الذين اشتركوا في المعارك فكانوا يحرمونهم من نصيبهم المشروع في الغنيمة والفيء، «وقد أثارت تلك التفرقة المعنوية والخروج عن تعاليم الشريعة نفرا من الفقهاء وأهل التقوى والصلاح فندّدوا بالسياسة الأموية وحرّضوا الموالي على الثورة عليها.»

ويذهب إسماعيل إلى الاستدلال بالبلاذري في توضيح أنّ الضرائب التي كانت مفروضة على الموالي لم تكن من أصول الشريعة بتاتا كما يكشف فظاعة طرق تعذيب العاجزين عن دفع الجباية والضرائب والهدايا كضربهم وإجبارهم على حمل الحجارة أو جرار الماء في رقابهم وإيقافهم ساعات كاملة على ساق واحدة ووثقهم بالحبال بحيث لا يستطيعون السجود للصلاة وقد استند في ذلك على أبي يوسف يعقوب في كتابه الخراج.»[3]

غير أنّ مثل هذه الممارسات والتجاوزات المفرطة لم تكن سائدة في كلّ بقاع دولة بني أمية وفي كلّ عهودهم وأحقابهم إنّما عرف الموالي القساوة والظلم مع بعض أشداء السلطان الأموي كالحجاج وخالد القسري وبعض حكام خراسان وما حولها.

ويبرز مظهر احتقار الموالي عند دراسة مكانتهم في حركة المختار التي اعتمدت بصفة رئيسة على عطائهم، فقد اكتشف أنه صارع عبدين وقتلهما فكان صاحب المختار يقول «فإذا الذي قتلت رجلا أحمر شديد الحمرة كأنّه رومي وإذا الذي قتل المختار رجل أسود شديد

---

(1) نصر بن مزاحم المنقري، **وقعة صفين**، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، 1962)، 17-18.

(2) الطبري، **تاريخ**، ج. 7، 148.

(3) محمود إسماعيل، **الحركات السرية في الإسلام** (القاهرة: دار القلم للطباعة والنشر، 1997)، 46 و47؛ البلاذري، **فتوح البلدان**، 73؛ أبو يوسف، **الآثار**، 18، 61، 70.

السواد، فقال لي المختار: «تعلم أنّي لأظن قتيلينا هذين عبدين ولو أنّ هذين قتلانا لفجع بنا عشائرنا ومن يرجونا وما هذان وكلبان عندي إلا سواء ولا أخرج بعد يومي هذا لرجل أبدا إلا رجل أعرفه.»[1]

وكان الموالي بنفس الحماس والاندفاع أيضا ضمن حركة الخوارج وهو ما يدحض قطعا الرأي القائل إنّ أفكار الشيعة القريبة من الدّيانات المانوية والزرادشتيه والفارسية بصفة عامة، والطقوس والتعاويذ الشبيهة بالأشكال الشرقية، تعود إلى تسرّب الموالي في هذه الحركة، وهي في الوقت نفسه سبب جلبهم ودخولهم فيها.

فتؤكد النّصوص أنّ عدد الموالي الذين دخلوا الحركة الخارجية كانوا أكثر بصفة مطلقة من الذين انخرطوا مع الشيعة، بل إن المكانة التي وجدها الموالي في مستوى القيادة أفضل بكثير منه في حركة الشيعة.[2] ومع ذلك ليس هناك في فكر الخوارج ولا في طقوسهم أثر يذكر الموالي، فالحقيقة أنّ أشكال التغيير وإقحام الأساليب الشرقية في المعتقد الشيعي لم تحصل مطلقا في القرن الأوّل، وتحديدا في العراق عند نشأة الحركة الشيعية، وإنّما يعود إلى فترة متأخرة ازدهر فيها المدّ الشيعي بعيدا في ربوع فارس وما والاها.

- **مشاركة الموالي والعبيد في مهام قيادية في حركات الشيعة إلى حدّ المختار[3]**

ففي خبر يقدمه اليعقوبي ما يفيد بضخامة أعداد الموالي في حركة الخوارج، إذ يركّز بصفة جليّة على هجوم الخوارج في رمضان من سنة 38هـ/658م حيث كادت الجيوش تكون كلها من الموالي وكانوا عندئذ أشجع الخوارج وأكثرهم شدّة وبسالة واستماتة لكسب الانتصار.[4]

كما يتحدّث فلهوزن أيضا عن صراع دام داخل الخوارج في جيش نجدة بن عامر تحوّل إلى حرب بين العرب والموالي، فقد كان الموالي يلومون نجدة ويعارضونه وكانوا يومها يعدّون حوالي ثمانية آلاف وهم من القرّاء وانضم إليهم بعض العرب بزعامة عمرو بن القنا.

---

(1) الطبري، **تاريخ**، ج. 7، 63.

(2) جدول 2 يقدم فكرة عن ضعف نسبة المشاركين في حركات الشيعة من غير العرب.

(3) عبد الحميد الفهري، «من أجل استعمال المنهج الكمي لدراسة التراث العربي المكتوب، الحركات في عهد بني أمية أنموذجا،» **مجلة بحوث جامعية**، العدد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس (2001). اتبعنا المنهج الكمي في دراسات معمقة لتحديد نسبة مشاركات مختلف الفئات الاجتماعية العربية وغير العربية في حركات الشيعة طيلة العهد الأموي وخصصنا قسما من البحث لتحديد مساهمة الموالي والعبيد. واعتمدنا تاريخ الأمم والملوك للطبري ليكون المرجع الأساس الموحد لضبط القيادة وفق مقاييس استخرجناها من الأخبار والروايات المتعلقة بالأحداث المعنية بالدرس.

(4) يوليوس فلهوزن، **الخوارج والشيعة**، 49، عن اليعقوبي، ج. 2، 262.

واستطاع شق الموالي أن ينتصر بقيادة عبد ربه ولكن تمكن المهلب في نهاية الأمر من القضاء عليهم وطردهم إلى تخوم الصحاري فكان انتصارا كبيرا للأمويين.»[1] غير أنّ هذا لا ينفي تماما دخول الموالي السلطة الحاكمة[2] فعندما ننظر في الروايات الخاصة بهذه الفئة الاجتماعية في عهد بني أمية تعترضنا كثير من الأخبار يذكر أصحابها بوضوح لمحات حول استعمال بني أمية الموالي في قمع الحركات المعارضة، ويسوق أبو مخنف في هذا الصدد خبرا يفيد بأنّ ابن زياد استعمل الشرط «وهم أهل الحمراء يومئذ»[3] ليطلب قادة حركة حجر وخاصة منهم الفارين وفي مقدمتهم عبد الله بن خليفة الطائي الذي توارى في بيوتات أهله من طي فحموه.

وليس هناك شك في أن شأن الموالي في حركة الشيعة لم يصل إلى حجم راق من القيادة والاستقلال بالرأي كما هو في حركات الخوارج وهو عنصر يتصل بالفكر الخارجي نفسه، ففي البداية كان الخوارج رافضين لغير العرب ولا يختلف تعاملهم مع الموالي في شيء عن الشيعة،[4] ولكن سرعان ما اعتدل وتر التفاعل وأدرك الخوارج أنّ تحقيرهم للعبيد والموالي يتنافى وطبيعة دعوتهم، حتى إننا نجد من بين الأسماء المرشحة للخلافة ضمن الخوارج منذ الفترة الأولى بعض أسماء الموالي.[5]

أما مع الحركات الشيعية فكان الموالي مهمشين في مستوى القيادة إلى حدّ بعيد فلا يتجاوز سبع مساهمات في الفترة المعنية بالدرس، وهو بالتأكيد مقدار ضعيف من حيث الحجم والنسبة، وبالتالي من حيث الوزن والفعل في قيادة الحركة. وهنا يمكن أن نثبت بصفة قطعية أنّ مستوى مشاركة الموالي بصفة ضخمة في جيوش الحركات الشيعية لم يواز مطلقا نصيبهم في مستوى القيادة بحيث أن العرب همشوهم وجعلوهم في وضعية دونية، فكانوا في العساكر المشاة والخشبية في موقع ثانوي لا يذكر. وطبيعي جدا أن تكون وضعية الموالي في هذه المنزلة وهي حالة تتماشى وطبيعة المجتمع العربي. فوضعية الموالي ومنزلتهم تتفق بصفة آلية وحتمية مع وضعيتهم القانونية في الشريعة والعرف المعمول بهما في كلّ المدن والأمصار حتى إنّ بعض الإشارات تفيد بأنّ مصير الموالي لا يختلف في جلّ الحالات عن مصير العبيد. وطبيعي أن يعامل العرب الموالي بصفتهم الأدنى والأقل مكانة تماشيا مع القانون الاجتماعي

(1) فلهوزن، **الخوارج والشيعة**، 63 وما بعدها، عن اليعقوبي، ج. 2، 96 وفيها دور الموالي في حركة شبيب الخارجي.
(2) راجع ما كتبه فلهوزن، **الخوارج والشيعة**، 95-96 حول الموالي والعبيد في جيش الحجاج.
(3) الطبري، **تاريخ**، ج. 7، 156.
(4) فلهزون، **الخوارج والشيعة**، 69، أمر أمير الخوارج في البداية وهو نجدة بن عامر بالإبقاء على رقيق اليمامة واستعمالهم لصالحهم مثلما كان يفعل الأمويون.
(5) محمود إسماعيل، **الحركات السرية**، 29، الخوارج المرشحين للخلافة.

والتشريع الرسمي الذي ينظر إليهم من موقع الأدنى. وخصص الفقهاء ورجال التشريع أقساما هامة من كتاباتهم لتحديد مصير هذا الصنف من غير العرب في المجتمع، فالمسألة قانونية وتشريعية بالأساس. ولا غرو أن يكون موقعهم ضعيفا في الرئاسة.

فالقيادة هي قبل كل شيء إفراز لواقع القواعد، ولا يمكن لطبقة المسحوقين اجتماعيا أن تحصل على قيادات أساسية لمجتمع يقوم بصفة خاصة على كسب حق التواجد انطلاقا من الانتماء العرقي، لذلك كان عدد الموالي في قيادة حركة الشيعة، ولا سيّما في حركة أمصار العراق، يترجم قبل كل شيء عقلية عرب القبائل في التعامل السياسي، لذلك نجد أهم الموالي الذين برزوا خلال حركات الشيعة عبد الله بن يقطر وهو أخو الحسين من الرضاع،[1] وقد سرحه الحسين عندما ما نفّذ مسلم بن عقيل خطّته بالكوفة فتفطنت لتسربه شرطة ابن زياد فقيدوه وأعدموه.

أما القيادات المتبقية للموالي ضمن حركات الشيعة فكانت كلها مع المختار بن أبي عبيد وبالتالي في فترة بدأ فيها مدّ هذا الصنف الاجتماعي يزداد حتّى إنّ عددهم في هذه الثورة ناهز العشرين ألفا.

وقد تولّى مع المختار كلّ من حوشب البرمسي وزربي وأبو سعيد الصقل[2] رئاسات محدودة المسؤولية تمثلت في قيادة فيالق من الجيش والجوسسة وملاحقة بعض أعداء الشيعة. ولكن تظهر أبرز قيادة على الإطلاق للموالي في كامل تاريخ الحركات الشيعية مع كيسان عمرة مولى عُرينة من قبيلة بحيلة[3] وقد كان قائد حرس المختار وقائد الموالي في جيوشه وصاحب مكانة هامة في كلّ المواقف. كما لعب كيسان دور جسر يربط بين المختار والموالي، ويبدو حسب النصوص أنّه يحسن العربية مع اللغات الأعجمية ويُنسب إلى كيسان مذهب الكيسانية المحسوب على الغلوّ عند الشيعة،[4] غير أنّ أغلب المؤرخين يذهبون إلى أنّ الكيسانية هي نفسها المختارية. ومنطقيا يجوز أن يكون المذهب حاملا لتسميتين مختلفتين ولكن تاريخيا المختار لم يكن كيسان نفسه. فمصدر التسمية يرجع إلى رواية واهية يقول أصحابها أنّ الرسول مسح على رأس المختار وقال: «كيس كيس،» وهذه فرضية غير مقنعة إطلاقا خصوصا وأن الكيسانية في أغلبهم من الموالي. وطبيعي جدّا أن يضيف المصنفون إلى جانب تسمية الفرقة الكيسانية.

---

(1) الطبري، **تاريخ**، ج. 6، 226؛ الطوسي، **الرجال**، الصفحة 76، رقم 10.

(2) الجدول: 1.

(3) الطبري، **تاريخ**، ج. 7، 109 و148.

(4) عبد الحميد الفهري، **مناهج مصنفات الملل والفرق والنحل** (تونس: دار محمد على، 1998)، 69 وتضم المختارية والبيانية والهاشمية والزرامية: نقدّم جدولا يحدّد موقع الكيسانية كإحدى فرق الشيعة في تقسيمات الشهرستاني.

غير أنّ تقديم مشاهير أصحاب المختار من كبار القادة من الموالي لا يخفي عنا الأفواج الضخمة التي صحبته بكل اندفاع وصدق في ملحمته، والتي تكبدت من أجله أشد العقوبات ناهيك أنّ عدد المذبوحين بعد فشل حركة المختار بلغ سبعة آلاف في يوم واحد حتى إنّ عبد الله بن عمر كان يخاطب مصعبا بن الزبير قائلا: «أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة، عش ما استطعت والله لو قتلت عدتهم غنما من تراث أبيك لكان ذلك سرفا.»[1] وهي أعظم حادثة ملطخة بدماء الموالي في تاريخ العرب وسواهم. غير أنّ حالة الموالي لم تكن دوما على هذا العسر والشدة بل من هؤلاء من نال حظوة تفوق العرب بالذات في الأمصار في مستوى المكانة الاجتماعية.

ففي مراجعة أسماء مشاهير الموالي نجد الطبري –وغيره- يذكر أن من الموالي صنف يدعى الدهاقين، وقد استعان علي على سبيل المثال بهؤلاء الأعيان من الموالي وأقر مساهوية على مرو وكتب في ذلك إلى الدهاقين من الأساورة.[2]

كما ميّز علي دائما هذه الطبقة من الموالي على غيرهم من غير العرب بأن جعلهم «يركبون البراذين ويجمعون الذهب.»

وفعلا يتميّز هذا الصنف من الموالي اجتماعيا على بقية العجم وهم من أصول فارسيّة عريقة النسب ولا ينتمون في شيء إلى السكان الأصليين في العراق، فهم طبقة الموظفين الفرس. وقد قبل العرب عند حلولهم التعامل مع الدهاقين فجعلهم الولاة في خدمتهم موظّفين لديهم وهي خطتهم قبل الإسلام. ويتمثّل دورهم في جمع الجباية من السكان الأصليين لصالح العرب وكانوا يقومون بنفس هذه العملية ولكن لفائدة الساسانيين، وقد أبقى عليهم العرب في خططهم نتيجة معرفتهم الدقيقة للبلاد والعباد، ويقول البغدادي في هذا الصدد حول الدهاقين: « ناصحوا المسلمين ودلوهم على عورات فارس وأهدوا لهم وأقاموا لهم الأسواق.»

إلا أن هؤلاء الدهاقين أنفسهم كانوا يصَنّفون إلى درجات متفاوتة المكانة، بل يذهب محمود إسماعيل إلى أنّهم تحصّلوا على مراتب ووظائف شتّى جعلت أحيانا التناقض بينهم ينصبّ في داخلهم نظرا لاختلاف مستوياتهم الطبقية.[3]

وفعلا عند ما نعود إلى المصادر التي تعنى بأصول هذه الفئة الاجتماعية التي انصهرت في حياة العرب وأمصارهم على وجه الخصوص، نلاحظ أنّها كانت متفاوتة المكانة حتى قبل حلول العرب بالعراق. فقد كان ملوك الفرس يقسّمون مجالسهم إلى حلقات متفاوتة الأهمية،

(1) الطبري، **تاريخ**، ج. 7، 157.
(2) المصدر نفسه، ج. 5، 233.
(3) محمود إسماعيل، **الحركات السرية**، 48.

أوّلها حلقة الأساورة وهم أبناء الملوك والأمراء وأهل الشرف والعلم، وفي الدرجة الثانية المرازبة وهم حكام الكُوَر والمقاطعات، أمّا الصنف الأخير في المجالس فهم المضحكون وأهل الهزل.»[1] ويأتي بعد هذه الفئات مباشرة المؤبدان وهم رجال الدين في فارس ومعهم الأصبهاذون وهم رؤساء المقاطعات، يعملون لدى المرازبة وهم حلفاؤهم في الحكم والسيطرة على أهل السّواد.[2] أما أدنى الرّتب فهي للزنادقة والمقصود بهم الذين يخرجون في كل ممارستهم وأفكارهم عن المألوف.

فكلّ هذه الأصناف العليا تمثل طبقة الدهّاقين. وبصفة جُملية، وسواء كان الموالي من سائر أهل السّواد من الزط والسيابجة والكندغار وكلّ العلوج بأجناسهم وأصولهم المختلفة، أو من أشراف الأساورة والفرس عموما، فقد ألّفوا مجموعة ضخمة وقويّة داخل نسيج المجتمع العربي وصلت في بعض المراحل حسب فلهوزن إلى «أكثر من نصف سكان الكوفة وفي أيديهم الحرف اليدوية والمهن والتجارة. وترك لهم العرب المشغولون بالحرب والقتال مرافق الحياة المدنية. ويضيف فلهوزن في نفس هذا السياق: «وكانوا كذلك يعملون في الضياع المجاورة للكوفة مثل ضيعة المختار وأتى بهم منها واختلطوا بالفلاحين.»[3]

ويبرز بوضوح مدى الوزن المتزايد الذي اكتسبه غير العرب مع مرّ السنين في المدن والأمصار، فكان حجمهم يسجّل تصاعدا غير منقطع في مستوى العدد والأهميّة في الدورة الاقتصادية، وسيطروا على كلّ مسالك التجارة والفلاحة المتطورة. وكان موقعهم يزداد أهمية كلما زادوا في حذق اللغة والفقه في أصول الدين. وفعلا أصبح عدد كبير من مشاهير الموالي يدافعون عن الثقافة العربية التي اكتسبوها. ورغم ذلك بقيت بينهم نزعة تبرز من فترة إلى أخرى تميل نحو الشّعوبية وتحاول تركيز الصراع داخل المجتمع بين عرب وغير عرب، ولكن مهما كانت النظرة إلى أشكال التفاعل بين هذه الثقافات المختلفة من عربية وفارسية وعراقية أصيلة، فمن التحامل على التاريخ والواقع ربط كلّ الظواهر وأسباب تردّى الأحوال في الأمصار، وفي مجمل التاريخ الإسلامي، بدخول هذا الصنف في عمق المجتمع العربي كما يذهب إلى ذلك عبد العال الذي يُرجع هؤلاء الموالي إلى سبب تثبيط العزائم في العراق لنصرة علي وابنه الحسين، فيرى أنّ ذلك لا يمكن أن يكون من خصال العرب فيقول: «والجبن عند العربي صفة لا يطيق أن يوصف بها.» ويجد في النهاية تفسيرا لظواهر الهزيمة فيضيف: «وأظنّ أنّ الأمر

(1) أبو الحسن علي المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج. 2 (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1986)، 243 وما بعدها.

(2) السواد هي المجالات الزراعية (الريفية) المحيطة بالمراكز الحضرية.

(3) فلهوزن، **الخوارج والشيعة**، 151.

كان بتدبير ممن يبغض الإسلام والمسلمين من هؤلاء الموالي الذين في صفوف الشيعة لتتمكن الفُرقة ويستقرّ الحقد بين الطائفتين الشيعيّة والأموية.»[1] وبقطع النظر عن النّقد المُوجّه لهذه النّظرة العرقية للموالي، فإنّ هذه الطريقة في التحليل منتشرة لدى بعض الباحثين، وهي قراءة تقودها نظرة قومية لا تخلو من تعصّب ومن أبعاد «شوفينية،» فتفسير الظواهر في هذا التحليل العنصري الصريح يعتبر العبيد والموالي وغير العرب عامة أقل مكانة وأدنى منزلة وأهل كيد وحقد تسربوا إلى الحركة الشيعية ليكيدوا للمجتمع العربي. ولا شكّ أنّ هذه القراءة ساهمت في الإبقاء على نهج فكري سيطر على التاريخ العربي والإسلامي آمادا طويلة تقوم على تحليل يطمس حقيقة الصراع القائم بين أصناف اجتماعية محتكرة للسلطة ولكلّ وسائل الإنتاج من جهة، وأصناف دنيا، من جهة ثانية، تعيش تحت السيطرة والفقر والظلم بكلّ ما فيها من اختلاط بين العرب وغير العرب، ممّا يجعل هذه الفئـات المسحوقة تبحث عند اشتداد التّناقضات على الانتقام من نقيضها الطبقي سواء تحت كسوة التشيّع أو تحت غطاء الخوارج أو غيره من الحركات الدينية والاجتماعية في الوقت نفسه. فلا يمكن تفسير الصراع في جوانبه العميقة بيُسر خارج أبعاده الاقتصادية والاجتماعية.

جدول 1 - القادة من الموالي والعبيد في حركات الشيعة إلى حدّ المختار في 66هـ/ 686م

رقم	الاسم	الأسماء	الجزء والصفحة من الطبري	المسؤولية في الحركة
1	عبد الله بن يقطر وهو أخ الحسين من الرضاع	مولى	ج.6، ص.226	سرحه الحسين لمعرفة مصير مسلم بن عقيل فقتله بن زياد
2	عقبة بن سمعان	عبد	ج.6، ص.235	صحب الحسين منذ خروجه إلى موته ولعب دورا كبيرا في شد صفوفه والاستماتة من أجله استطاع الفرار إلى فارس
3	حوشب الرمسي	مولى	ج.7، ص.130	بعثه المختار في 100 رجل لملاحقة محمد بن الأشعث بقرية جنب وحوشب هو ماسك كرسي علي

(1) محمد جابر عبد العال، **حركات الشيعة المتطرّفين واثرها في الحياة الاجتماعية والأدبية لمدن العراق إبان العصر العباسي الأوّل** (القاهرة: مطبعة السنة المحمّدية، 1954)، 13.

4	زربي	مولى	ج.7،ص.121	كلفه المختار بملاحقة شمر من ذي الحوشب في مجموعة من الرجال فأنجز مهامة
5			ج.7، ص.103	جاسوس المختار وعينه على جيش بن المطيع. أرسله في مهمة تجسس على شبث فنجح
6	أبو سعيد الصقيل	مولى	ج.7، ص.104	كان في حركة المختار مع هبيرة وأسر مع سعر الحنفي لما رأى شبث يعفو عن العرب ويقتل الموالي فتنكر وتقدم على أنه عربي
7	كيسان أبو عمرة مولى عرينة	مولى	ج.7، ص.109	عينه المختار على حرسه
			ج.7، ص.148	جعله المختار على الموالي في حربه أمام المصعب بن زبير
8	بجير بن عبد الله المسلي	مولى	ج.7، ص.156	كان آخر صبي صمد مع المختار : يذكره الطبري «يقال له مولى» وهو من بني مسلية وابنه سلمة وهو العنصر الأساسي في نقل دعوة العباسيين من الكوفة إلى خراسان

الجدول 2 - نسبة مشاركات الموالي والعبيد ومجهولي النسب في قيادة الحركات الشيعية إلى حدّ المختار

	بعد التحكيم		حركة حجر		انتفاضة الحسين		حركة التوابين		حركة المختار		الجملة	
	القادة	النسبة	القادة	%	القادة	%	القادة	%	القادة	%	القادة	%
جملة غير العرب	2	5،7	0	0	2	6،45	0	0	5	8،47	9	5،26
الموالي	1	2،8			1	3،2			4	6،8	6	3،5
العبيد					1	3،2					1	0،58
مجهولي النسب	1	2،8							1	1،69	2	1،16